

جامعة البصرة

كلية التربية للعلوم الإنسانية

قسم علوم القرآن الكريم

المرحلة الثانية

**السيرة النبوية**

الدكتور: أحمد فرج

يا عم ، ربيت صغيراً وكفلت يتيماً ونصرت كبيراً ، فجزاك الله عنّي خيراً .

ولا شك بأنَّ أبا طالب مات مُسْلِماً ، فقد روي أنَّ علي بن الحسين (عليه السلام) سُئل عن إيمان أبي طالب فقال : " واعجبنا إنَّ الله تعالى نهى رسوله أن يقر مسلمة على نكاح كافر وقد كانت فاطمة بنت أسد من السابقات إلى الإسلام ولم تزل تحت أبى طالب حتى مات " ، وعن الإمام الباقر (عليه السلام) : " لو وضع إيمان أبي طالب في كفة ميزان ، وإيمان هذا الخلق في كفة أخرى لرجح إيمانه " ، وإن كان قد أخفى إسلامه كما قال الإمام الصادق (عليه السلام) : " إنَّ مثل أبي طالب كمثل أصحاب الكيف ؛ أسرُوا الإيمان وأظهروا الشرك فآتاهم الله أجراً هم مرتبين " .

وروى الكليني في كتابه الكافي عن اسحاق بن جعفر عن أبيه جعفر الصادق (عليه السلام) انه قيل له : إنهم يزعمون أن أبا طالب كان كافرا ؟ فقال : كذبوا كيف يكون كافرا وهو يقول : ألم تعلموا أنا وجدنا محمدا \* نبياً كموسى خط في أول الكتب " .

ولم تكن المساعي المحمومة التي بذلها بعض الناس من أجل إثبات كفر أبي طالب إلا بسبب دوافع سياسية وعقدية ، وللانتقاص من مكانة الإمام علي (عليه السلام) ، وإثبات ولادته من أبٍ كان يعبد الأصنام، حتى وإن كان هو أول الناس إسلاماً ، فلا ذنب أو جريمة لأبي طالب سوى أنه والد علي (عليه السلام) .

المقدمة المنشورة:

لقد استمرت قريش في تعذيب من يدخل في دين الإسلام ممن لم يكن لهم عشيرة تمنعهم ، وكان الاستمرار في هذا الوضع غير ممكن ، فقد كان وأصبح لا بد لهؤلاء المعتذبين من العثور على موضع أمل لهم ، يساعدهم على تحمل المشاق ، ومواجهة الصعاب ، و يجعلهم أقدر على مقاومة الضغوط التي يتعرضون لها من قبل من رفضوا أن يعترفوا بألوهية وحاكمية فوق ألوهيتهم وحاكميتهم ، وأنروا الاستكبار والعناد على الرضوخ والانقياد .

ومن جهة ثانية : فإن استمرار هذا الوضع الذي يواجهه المسلمين ، المليء بالآلام والمشاق ، لسوف يقلل من إقبال الناس على الدخول في الإسلام ، ما دام أن هذا الدخول لا حصاد له سوى الرعب ، والتعذيب والمصائب .

ومن جهة ثالثة : فقد كان لا بد من تسديد ضربة لكبرياء قريش وجبروتها - ولو نفسياً - لتدرك : أن قضية الدين تتجاوز حدود تصوراتها وقدراتها - وأن عليها : أن تفكر بموضوعية وعقلانية أكثر ، فكان أن اختار رسول الله «صلى الله عليه وآلـه» لل المسلمين الهجرة إلى الحبشة .

### سر اختيار الحبشة :

وأما عن سر اختيار رسول الله «صلى الله عليه وآلـه» الحبشة مهاجراً لل المسلمين ، فقد أشار إليه «صلى الله عليه وآلـه» بقوله : «إن بها ملكاً لا يظلم عنده أحد ، وهي أرض صدق » و «إنه يحسن الجوار » .

وقد كان من الواضح أنه :

١ - كان لا بدّ لقريش ، من أن تبذل محاولاتها لاسترجاع المسلمين ، لتبقى هي المهيمنة ، وصاحبة الاختيار الأول والأخير في مصير هذا الدين ، الذي تراه يتهدم كبرباءها وشركها ، وانحرافها .

٢ - لقد كان لقريش نفوذ في بلاد الروم والشام ، لما كان لها من علاقات تجارية واقتصادية معها ، فالهجرة إلى هذه البلاد إذن سوف تسهل على قريش استرجاع المهاجرين ، أو على الأقل إلحاق الأذى بهم ، ولا سيما إذا كان ملوك تلك البلاد لا يلتزمون بأي من الأصول الأخلاقية والإنسانية ، ولم يكن لديهم مانع من ممارسة أي نوع من أنواع الظلم والجور ، وعلى الأخص بالنسبة لمن ينتمي إلى دعوة يرون أنها تضر بمصالحهم الشخصية ، وتهدم كيانهم وجبروتهم.

وأما بلاد اليمن ، وبعض المناطق العربية والقبلية الأخرى فقد كانت تحت نفوذ النظام الفارسي ، المتجرِّب والظالم .

٣ - لقد كان لقريش نفوذ قوي في مختلف القبائل العربية ، حتى ما كان منها تحت نفوذ الفرس والروم .

٤ - ما ذكره النبي «صلى الله عليه وآلـه» من أن بها ملكاً لا يظلم عنده أحد ، فإن كل ذلك ، يجعلنا نضع أيدينا على السر الحقيقي لاختيار بلاد الحبشة ، البعيدة عن النفوذ الفارسي والروماني والقريشي ، والتي لا يمكن لقريش أن تصل إليها على ظهر جواد أو راحلة ، وإنما بالسفن عبر البحار ، ولم تكن قريش تعرف حرب السفن ، فاختار الرسول «صلى الله عليه وآلـه» هذه البلاد بالذات لتكون أرضاً لهجرة المسلمين ، الذين لا يزالون ضعافاً أمام قوة قريش وجبروتها .

وهاجر المسلمون بأمر من رسول الله «صلى الله عليه وآلـه» إلى الحبشة ، ويقال : إنه سافر أولاً

عشرة رجال وأربع نساء عليهم عثمان بن مظعون ، ثم خرج آخرون حتى تكاملوا في الحبشة اثنين أو ثلاثة وثمانين رجلاً ، إن قلنا إن عمار بن ياسر كان معهم ، وتسع عشرة امرأة عدا الأطفال .

\* وقد كانت هذه الهجرة في السنة الخامسة منبعثة كما نص عليه عاممة المؤرخين .

### أمير الهجرة إلى الحبشة :

إن هجرة جعفر بن أبي طالب إلى الحبشة ، لم تكن بسبب تعرضه للتعذيب من قبل قريش ، فقد كانت قريش تخشى مكانة أبي طالب ، وتراعي جانبه ، وجانببني هاشم بصورة عامة ، وإنما أرسله النبي « صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ » مع المهاجرين ليكون أميراً عليهم ، ومديراً لأمورهم ، ومشرفاً على شؤونهم ومصالحهم ، وحافظاً لهم من أن يذوبوا في هذا المجتمع الجديد ، كما كان الحال بالنسبة إلى ابن جحش الذي تنصر في الحبشة ، فقد جاء في الرسالة التي وجهها الرسول « صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ » إلى ملك الحبشة النجاشي مع عمرو بن أمية الضمري ، والتي جاء فيها : « قد بعثت إليكم ابن عمي جعفر بن أبي طالب ، معه نفر من المسلمين ، فإذا جاؤوك فأقرهم إلخ ... » .

\*\*\*\*\*

### الإسراء والمعراج : (الإسراء من المسجد الحرام (مكة) إلى المسجد الأقصى ( القدس)

اختلاف المؤرخون في تاريخهما ما بين السنة الثانية منبعثة حتى السنة العاشرة ، وقيل : في الخامسة ، وقيل في الثالثة - وهو الأرجح - والذي نقطع به أنه حصل قبل وفاة أبي طالب والسيدة خديجة .

وأما ما يدل على أن الإسراء قد كان في السنوات الأولى من المبعث ، ما ورد عن الإمام أمير المؤمنين (عليه السلام) : أن الإسراء قد كان بعد ثلاث سنين منبعثه ، وهذا هو الأصح والمعتمد .

وبحسب النصوص فقد أُسرى بالرسول (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ) من مكة إلى بيت المقدس، بمعجزة خارقة للعادة، ثم عُرِجَ به من هناك إلى السموات بقدرة الله تعالى ، وكان الهدف من هذين السفرين مشاهدة عالم وآيات عظمة الله في الكواكب والسموات، ولقاء الملائكة وأرواح الأنبياء، ورؤيه مشاهد الجنة والنار، ودرجات أهل الجنة والنار وما شابه ذلك .

وقد وصف الله تعالى الإسراء بقوله : « سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَى بِعَبْدِهِ لَيْلًا مِّنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ إِلَى الْمَسْجِدِ الْأَقْصَى الَّذِي بَارَكْنَا حَوْلَهُ لِرِبَّهُ مِنْ آيَاتِنَا إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ » .

قال تعالى في المعراج بعد بيان المراحل التي مر بها الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) : ﴿لَقَدْ رَأَى مِنْ آيَاتِ رَبِّهِ الْكُبْرَى﴾ .

### الإسراء والمعراج في اليقظة أو في المنام :

يرى البعض : أن الإسراء قد كان بالروح فقط ، في عالم الرؤيا ، ويحتاجون بما قالته عن عائشة : ما فقدت جسد رسول الله « صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ » .

عن مع ٩٣ / ٢٥ يـ : إنها رؤيا صالحة .

ولكن الصحيح هو ما ذهب إليه الإمامية ومعظم المسلمين من أن الإسراء إنما كان بالروح والجسد معاً .

ونحن نشير هنا إلى ما يلي :

أولاً : بالنسبة لعائشة : « إن عائشة لم تحدث به عن مشاهدة ؛ لأنها لم تكن إذ ذاك زوجاً ، ولا في سن من يضبط ، أو لم تكن ولدت بعد » ، وأما معاوية فحاله معلوم ، وكذا الحال بالنسبة للحسن البصري فهو مطعون فيه .

ثانياً : قال تعالى : « سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَى بِعَبْدِهِ لَيْلًا مِنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ إِلَى الْمَسْجِدِ الْأَقْصَى » ، وقال في سورة النجم : « فَكَانَ قَابَ قَوْسَيْنَ أَوْ أَدْنَى ، فَأُوحِيَ إِلَى عَبْدِهِ مَا أُوحِيَ » .

فإن لفظ العبد إنما يطلق على الروح والجسد معاً ، ولو كان مناماً ، لكان قال : بروح عبده ، وإلى روح عبده .

كما أن قوله تعالى : « مَا زَاغَ الْبَصَرُ وَمَا طَغَى » فالرؤية البصرية تطلق على رؤية الجسد دون رؤية الروح فقط .

هذا بالإضافة إلى أن الرؤيا عند عامة الناس لا تدل على عظيم قدرته تعالى ، إذ ربما تفسر على أنها نوع من الأوهام والخيالات ، فيفوت الغرض المقصود من الإسراء والمعراج ، كما هو ظاهر .

ثالثاً : إنه لو كان الإسراء مجرد رؤيا صالحة ؛ فلا يبقى فيه إعجاز ؛ ولما أنكره المشركون والمعاندون .

رابعاً : لو كان مجرد رؤيا ، لم يخرج أبو طالب والهاشميون في طلبه « صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ » .

وأما لماذا ينكرون : أن يكون ذلك بالروح والجسد معاً ؛ فهو إما لعدم قدرتهم على تعقل ذلك ، أو لأجل